

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

ج.ع.م.

رسالة من سامي خشبة

\*\*\*  
العقلية العلمية والتغيير :  
تسارعان للمعركة !

... وهذه الرسالة أيضا كنت أود أن أكرسها للادب والفن ،  
أو ما اصطلحنا نحن على تسميته بالثقافة والنشاط الثقافي . ولكننا  
نعيش الآن - لا في القاهرة والجمهورية العربية المتحدة وحدها فيما  
اعتمد وانما في كل مكان ينبض بالحياة في الوطن العربي - نعيش  
لحظه نتكسب فيها الحياة والثقافة جميعا معنى جديدا . فسي  
مواجهة الموت تصبح الحياة هي مقاومة اسباب الموت على الدوام ،  
وفي مواجهة الامية والجهل والخرافة تصبح الثقافة هي الالتزام  
ببحث عن أسباب الوعي بالحياة والقدرة عليها ، بتحويلها من ذلك  
التحديد السلبي الكتيب - الحياة هي بغيض الموت - الى تحديد  
ايجابي مليء بالبهجة والامن حينما تكون الحياة هي الوجود نفسه ،  
ولا يصبح لموت مكان في الوجود ، لان ما يموت انما يحمل نفسه  
الى العدم .

ولذلك فان حديثنا هذا الشهر سيكون قريبا من الحياة فسي  
بلادنا ، قريبا بهذا الفهم من أدبهم وفنهم ، لانه حديث عن قضايا  
وجودهم نفسه ، رغم ما يلوح على بداية ذلك الحديث من بعد كامل  
عن الحياة كلها !

\*\*\*

تحكي ملحمة « الزير سالم » ان سالم البطل تأمر عليه أعداؤه  
فدخلوا عليه خباءه في ظلمة الليل وهو نائم ليقتلوه ، فاتخونه جراحا  
بطعناتهم . ولكن البطل الذي ما كان له ان يموت هذه الميته الخسيسية،  
نجا من الجراح بعد سبع سنين فضاها في غيبوبة كاملة ، تنز جراحه  
صديدا ودما حتى التامت الجراح أثناء نومه العميق . ونهض ثانية ،  
لا لكي يعود الى القتال أو لينتقم من أعدائه ، وانما نهض بعد ان  
نسي كل شيء ، ماضيه وثارته وحسامه واسمه ، والهدف الهائل  
الذي كان يسعى اليه - أن يعود كليب حيا أو تكلمه الارض ويفنسي  
البكريون جميعا فلا يبقى في أرضهم ديار أو نافخ نار - ولكي يتحول  
سالم المقاتل القديم الى صلوك شاعر يمدح الملوك لقاء قوته ومبيته  
وحمايته .

فهل ترانا الآن مثل سالم الزير ، مصروعين بطعنات أعدائنا  
لا نفلع شيئا سوى الاستلقاء حتى تلثم الجراح ثم نهض ناسيين  
كل شيء : فلسطين والوحدة العربية ، والتقدم والرخاء والصدالة  
والسلام والديمقراطية ؟ أمن المقتدر لنا ان نكون جيل الهزيمة الثانية  
والنهائية ، أم جيل المارك والانتصار النهائي ، أو المارك التي تؤدي  
الى النصر على الاقليل ؟ كيف لنا ان نكتشف قدرنا وكيف لنا  
ان نصنعه ؟

ان الصورة التي يمكن أن يخرج بها من يتتبع ما يكتبه كبسار  
كتابنا السياسيين الآن ، لن تكون هي صورة الزير سالم ، مصروعا  
بطعنات أعدائه في انتظار أن تلثم جراحه لينهض ناسيا كل شيء .  
فليس من خلال الغيبوبة يمكن أن تلثم جراحنا ، وليس بالنسيان  
يمكن أن نجد منفذا الى الخلاص . وفي الوقت نفسه فان فسارء  
التاريخ القريب يستطيع أن يقارن ما أحدثته هزيمة ١٩٤٨ من ردود  
الفعل في كيان المجتمع العربي بوجه عام والمجتمع المصري على  
الخصوص بردود الفعل التي أحدثتها هزيمة ١٩٦٧ . لقد خرج جيل  
النكبة الاولى حاملا مسؤولية القيام بالثورة رافضا أن يكون جيسل

الهزيمة . وما هو جيل النكسة يخرج من نكسته حاملا مسؤولية  
استكمال الثورة والاندفاع بها الى الامام ، رافضا أن يكون هو جيل  
الهزيمة أو الانتكاس . وبينما كانت المهمة الثورية الاساسية امام  
جيل ما بعد ١٩٤٨ ، هي تغيير المضمون الاجتماعي للسلطة السياسية  
وتحقيق التحرر الوطني والبدء بالتحول الاشتراكي في المجالات  
الاقتصادية اساسا ، فان المهمة الثورية الاساسية امامنا نحن جيل  
ما بعد ١٩٦٧ هي تحقيق استيلاء الجماهير الثورية على قاعدة السلطة  
السياسية بعد ان تحقق الاستيلاء على قمتها بتصفية الجناح  
البيروقراطي المتبرج من القيادة السياسية ، ولن يتحقق هذا الا  
ببناء الحزب الثوري الجماهيري الذي يستطيع أن يقود الجماهير  
حقا وأن يحمي الثورة وأن يستمر بها . ثم الاستمرار في تصفيه  
المعاقل الاخيرة للسيطرة الاستعمارية والاقطاعية والراسمالية على  
الحركة الاجتماعية في بلادنا عن طريق تصفية سيرتها الفكرية وتصفيه  
التيارات الفكرية الرجعية السائدة ، وإعادة صياغة عقليتنا القومية  
بالعلم والروح النقدية والايان بالانسان حتى يمكن القول بان الثورة  
التي استطاعت أن تغير الهيكل الاقتصادي للمجتمع أو التي شرعت  
في تغيير « المجتمع » ككل قد استطاعت أن تشرع في تحرير عقول  
مواطني هذا المجتمع وأرواحهم من أخرافة والجهل ، بعد ان وضعت  
اسس خلاصهم من الفقر والتخلف . ولن نستطيع تصفية السيطرة  
الفكرية لوروثات النظم العبودية والاقطاعية والراسمالية الا بمحو  
أمية الملايين من أبناء شعبنا وفي الريف بوجه خاص ، كما اننا لن  
نستطيع أن نصفي التيارات الفكرية الرجعية والمحافظة الا من خلال  
التركيز على نظمنا التعليمية الاكاديمية من مدارس الاطفال حتى  
الجامعات ، لتحويلها الى مصانع حقيقية لتربية الانسان المتعلم  
المستنير الاشتراكي القادر على تحمل مسؤولية العمل في وطن  
متخلف يبني الاشتراكية ويطمح الى الرخاء ، دون أن ينتظر جزاء  
ماديا فوريا مجزيا ، والغادر في الوقت نفسه على تحمل مسؤوليته  
العلم العقلية وتحمل مخاطرها الروحية دون أن يمزقه التردد والاسى  
على الراحة الكاذبة التي توفرها العقلية القدرية التي توشك على  
الانقراض والا هددت أصحابها أنفسهم بالانقراض الوشيك !

من هاتين الزاويتين يمكننا أن نعيين أهمية ما يشهه كتابنا  
السياسيون الان من مناقشات وما يقدمون من اقتراحات حول أكثر  
قضايا مصرنا الحاحا وأكثرها تعبيراً عن التهديد الذي يجتاح حياتنا .  
ولناخذ محمود أمين العالم وأحمد بهاء الدين على سبيل المثال .

فقبل أن ينتقل محمود أمين العالم من مؤسسة المسرح الى رئاسة  
دار أخبار اليوم القاهرة ، كان قد نشر سلسلة من المقالات في مجلة  
المصور ، اعتقد انها من أصدق ما كتب منذ يونية الماضي في مجال  
تشخيص أمراضنا العقلية والروحية المزمنة ، ثم تجاوز التشخيص  
والتحليل الى محاولة تقديم العلاج الثوري والعملية المحد لتلك  
الامراض . وكان المرض الاساسي الذي وضع العالم عليه يده هو ذلك  
التخلف العقلي والروحي اللزج الذي نعانيه ... « ان كثيرا من قيم  
المجتمع السابق على الثورة الذي رفضناه لا يزال يعيش بيننا وفيها  
سلوكا وفكرا وثوقا .. لقد تحررنا من السيطرة السياسية للاقطاع  
والراسمالية والاستعمار ولكننا ما تحررنا بعد من بقايا نفوذهم الفكري  
والمثوي والثقافي عامة » . ولما كانت الحركة الاجتماعية لا يمكن  
أن تتجمد أبدا على حالة واحدة ، ولا بد أن تتحرك الى الامام  
أو الى الخلف ، فان تلك السيطرة الباقية التي ما تزال تمارسها  
نظم المجتمع القديم الذي أسقطته الثورة لم تكف بما بقي لها من  
معاقل ، بل لقد سعت هذه النظم الى السيطرة الفكرية على الثورة  
ذاتها بعد ان فقدت « معاقلها السياسية والاقتصادية تخريبا للعمل  
الثوري وافرانا له من مضمونه الثوري » . ويحدد محمود أمين العالم

العوامل التي أدت الى محاولة الطبقات الرجعية لان تتركب الثورة فكريا في النقاط التالية :

١ - الطابع النظري غير المستكمل للثورة .  
٢ - عدم اشتباك الثورة مع الطبقات الرجعية في معارك فكرية حادة .

٣ - نخلف العمل الثوري بين الفلاحين ( وهم الذين تتكثف في علاقاتهم الاجتماعية وفي زوايا العقليات السائدة بينهم أكثر صور الفكر في بلادنا تخلقا وتآثرا بالنزعة القدرية والركون الى التسليم الساذج بالتفسيرات والافكار الموروثية من النظم البائدة ) .

٤ - اصطدام الثورة بقوى اليسار الماركسي في مصر والعالم العربي ، هذا الصدام الذي ارتفع من مستوى الخلاف الفكري الى مستوى العداء الفكري والعملي مما ( وبفض النظر عن تحليل أسباب هذا العداء أو البحث عن دوافعه والمسؤول عنه - فلا شك ان الطرفين يستويان في تلك المسؤولية - فان الطبقات الرجعية قد حاولت الاستفادة من ذلك العداء في الفترة التي بلغ فيها الصدام ذروته عامي ٥٩ - ١٩٦٠ عن طريق التسلسل الاجتماعي واستنزاف عقلية الثورة بمنحها تفسيراً وسلوكاً في العمل رجعيين ومحافظةين يهدف تصفية الفكر والجناح الثوريين في الثورة ذاتها ) .

٥ - انعدام التنظيم الثوري الذي يحرم الثورة من التحرك وتنفيذ اهدافها بقوة الجماهير نفسها - بينما تستطيع الرجعية ان تتحرك بالجماهير خلال تأبيرها على تلك الجماهير بالفكر الرجعي الموروث .

٦ - تحول أجزاء من الثورة نفسها الى قوى محافظة بانتقال الثورة من مرحلة التحرر الوطني الى مرحلته التحول الاشتراكي .

٧ - النفوذ الكبير لدور النشر الاستعمارية وادخالها مع الاجهزة التعليمية بهدف تسويد افكار رجعية ومحافظة ، مع العمل على تدعيم العناصر الاثر تخلقا داخل هذه الاجهزة نفسها .

ويخلص محمود أمين العالم من هذه الاسباب الى حقيقة ان الثورة لم تنجح في استقطاب الفكر النظري في بلادنا رغم ان ظهور الميثاق الوطني كان يعني بداية لهذا الاستقطاب بطابعه النظري المنبعث في جوانبه والمتجسد في .. ( نظريته العلمية عن التاريخ ومفهومه الموضوعي لصراع الطبقات ولقوانين العلمية للمجتمع وللدلالة السياسية والاجتماعية للديمقراطية ولحتمية الحل الاشتراكي ولدور العمل البشري والعلم في الثورة الاجتماعية وتحليله للتناقضات الحية في تاريخنا العربي والتاريخ المعاصر عامة ) .

ولكن ذلك الاستقطاب لم يحدث حتى الان رغم استمرار التحول الاجتماعي بكل قوته نحو التنمية -الاراسمالية بهدف استكمال القاعدة المادية القادرة على بناء الاشتراكية ، وفي نطاق المثقفين والجامعيين ، استمرت محاولات الوجوديين والوضعيين المناطقة والليبراليين لاحتواء الميثاق نظريا واصدار احكام عامة حول مشاكل جزئية وكلية في حياتنا قائمة على هذه الفلسفات .

ويقطع العالم سياق حديثه لكي يؤكد انه لا يدعو الى « واحدية فكرية أو سيادة فكرية واحدة اشبه بالعقيدة النهائية الجامدة . انها دعوة الى تصفية بقايا الفكر الاقطاعي والراسمالي والاستعماري عامة في بلادنا ... وهي ليست دعوة الى منظومة محددة من الافكار الجاهزة بل هي دعوة الى عقلية جديدة ، عقلية علمية موضوعية تنبئن بها قوانين الحركة الاجتماعية من حولنا ونسمى بها للسيطرة عليها وتوجيهها لخدمة اهدافنا ومبادئنا » .

ثم يعود محمود العالم الى سياق حديثه الاصلي لكي يؤكد الحقيقة التي أشرنا اليها في رسالة القاهرة في الشهر الماضي ، وهي ان أي حديث حول البعث العقلي والفكري أو النشاط الثقافي في بلادنا يتجاهل حقيقة ان الغالبية الساحقة من شعبنا ما تزال أمية يحكمها الجهل والخرافة فانه سيكون حديثا عابثا أو قليل النفع ... « الأمية ليست مجرد جهل بحروف الهجاء وانما هي تخلف حضاري وثقافي عام ، يترك الإنسان تحت رحمة التجربة التلقائية الباشرة

والتيارات الفكرية السائدة » ، فليس الفضاء على الامية اذن مجرد واجب انساني نبيل ، وانما هو مهمة سياسية وحضارية من الدرجة الاولى تهدف الى نقل الجانب الاكبر من « عقل » مجتمعنا الى العصر الحديث بدلا من الحياة في عصور بادت حينما عجزت عن ملاحقته التطور المادي للمجتمع وعجزت عن المحافظة على هذا التطور داخل اطارها الذهنية المتخلفة . وهكذا فلن يكون محو الامية مجرد تعليم الناس كيف يحطون الحرف او يقرأونه بل... « ان تلفين حرف الهجاء سيكون وسيلنا لبث القيم والنصوات الفكرية والوجدانية والذوقية الجديدة واقتلاع القيم والنصوات المتخلفة » .

وينتقل العالم من الحديث عن الامية الى قضية التعليم في بلادنا بوجه عام والى وظيفة التعليم من حيث انها ليست تخريج كتبة اداريين لجهاز بيروقراطي تالف ومتفئن ، وليست عملية حشو لكميات من المعلومات المشتتة في ادمغة الطلاب دون تزويدهم بالمنهج العلمي الذي يجعلهم يسوعيون هذه المعلومات وينسقونها من أجل فهم شامل للكون والطبيعة والتاريخ والمجتمع والانسان . ويشير العالم الى مناهج التعليم عندنا وتخلفها العلمي والايديولوجي وتضاربا ، واستمرار بقاء التعليم الاجنبي وما يؤدي اليه من استمرار التفاوت الطبقي العلمي بين أبناء الوطن الاشتراكي وما يؤدي اليه - اخطر من ذلك - الى استمرار تفريخ اعداد من المعلمين لا يشعرون ازاء وطنهم الا باقل الولاء حينما يجزؤون عن التفكير من خلال لغة هذا الوطن والامه وتاريخه . ثم يشير العالم احيرا الى الاختلاف والتفاوت بين مناهج تعليم في الوطن العربي وما يؤدي اليه ذلك من تعميق الانفصال وتكريسه .

ثم جاءت مملنا أحمد بهاء الدين في مجلة المصور القاهرية لناقما شعار التغيير الذي طرحته قيادته السياسية أخيرا من خلال تفاعل هذه القيادة مع مطالب جماهير العمال والطلبة التي برزت في أحداث معاهره الاخيره . ووضع أحمد بهاء الدين أسئلة محددة في بداية مناقشته لشعار التغيير : هل هذا هو الوقت المناسب للتغيير ، وبأي سرعه والى أي مدى ؟ ما هو هذا التغيير ومن أين يبدأ ؟ أي يمكن أن نغير كل شيء متكرين لكل ما حققناه ، مستسلمين بذلك لاتجاه التهديم الذي لا يمتنى أعداؤنا غيره ، أم نجمد كل شيء ولا نغير شيئا حتى « نزيل آثار العدوان » نأسين ان الهزيمة قد سببتها عوامل عميقة العور في بنائنا السياسي والاجتماعي والفكري ، واننا لن نزيل آثار العدوان حتى نكتشف تلك العوامل ونقضي نهائيا عليها وعلى تأثيرها المخرب ؟ وهكذا خرج أحمد بهاء الدين بشعار « بين التجميد والتهديم يكمن التغيير » ليضع اقتراحه على أساس ان الاسلوب الذي ينبغي أن نواجه به مطلب التغيير هو « الاعتماد على استراتيجية الحرب وضرورتها لحل مشاكل الحرب والسلم معا » ، وان مدى قدرتنا على مواجهة عبء المعركة العسكرية المقبلة انما يقاس بمدى قدرتنا على مواجهة عبء السلم المسلح مع نمو قدرتنا على البناء السلمي لمجتمعنا حتى يصبح قادرا على القتال والانتصار . ورغم ما في هذا الكلام من تعميم ، ومن تعبير عن الاحساس بالتناقض بين ضرورة المواجهة الحاسمة لامراضنا التي تشل جانبا كبيرا من طاقاتنا ، وبين الخوف من مسؤولية تلك المواجهة التي يتوقف عليها مصيرنا كله ، أقول انه رغم هذا فان التعميم والاحساس بالتناقض كليهما انما يعبران عن مدى عمق شعور مثقفينا وكتابنا الثوريين بفداحة المسؤولية الملقاة على عاتقهم . لا بد من المواجهة الشجاعة والعلمية ، ولا بد من الوضوح وتبيين مواضع الخطوات حين نلقي بالرأي في تلك القضايا المصيرية التي وضع التاريخ هذا الجيل امامها . لا وقت للهزل .. واكاد أقول انه لا وقت للاستمتاع بالفن او الحب حين يكون شمس المتعة هو الموت او الانقراض . ولذلك فلا سبيل امام الفن حتمسي يحافظ على مبرر وجوده الا ان يضع نفسه في خط المواجهة من اجل المقاومة والبناء الذي يدعم المقاومة ، ومن اجل الانتصار في حرب التحرير العربية التي بدأت ضد الصهيونية سنة ١٩٤٨ وما تزال دائرة الرحي حتى الان ، ومن اجل بناء الوطن العربي القادر على خوض هذه الحرب - لا في الميدان العسكري وحده لانها ليست حربا

عسكرية فقط ، وانما هي حرب حضارية شاملة بين العنصرية والانسانية وبين الامبريالية والاشتراكية وبين الافكار والتجهيل وبين الرخاء والتقدم والعلم - من اجل بناء الوطن العربي القادر على خوض حرب من هذا النوع ، ضد هذا كله ، ومن اجل هذا كله ، حتى النصر !

## العراق

### مؤتمر الفنون الجميلة

عقد في بغداد اول مؤتمر للفنانون الجميلة بتاريخ ٢٤ شباط واستمر لفايه ٢٩ منه . وقد دعت له وزارة الثقافة والارشاد العراقية ، وتضمنت كلمات الافتتاح التي القاها رئيس الوزراء ووزير الثقافة والارشاد وعميد معهد الفنون الجميلة التأكيد على دور الفنان واهميته في خوض معركتنا الحاسمة ضد اعدائنا ، كما أقيمت فسي المؤتمر البحوث التالية :

- ١ - دراسة لاستجابة الاسرة العراقية لبرامج تلفزيون بغداد - زكي الجابر
- ٢ - وسائل نشر التوعية الفنية - سامي عبد الحميد
- ٣ - تقرير حول تاسيس معهد للبحوث الفولكلورية - شهرزاد فاسم حسن
- ٤ - تأثير الاحداث العربية في الفكر الفني العراقي - عبد الحميد لطفي
- ٥ - الفناء العربي والكتات الأجنبية - محمد القبانجي
- ٦ - دور اساليب في الحركة الفنية - عبد اللطيف حمزة
- ٧ - ظواهر في المسرح العربي اثر نكسة حزيران - عثمان فائق
- ٨ - السينما جامعة الفنون - فيكتور حداد
- ٩ - الرفص الشعبي وتطويره في العراق - احمد الجعفر
- ١٠ - الفناء في العهد العباسي الاول - عباس الزاوي
- ١١ - دور التأليف في الحركة الفنية - نور الدين فارس
- ١٢ - خطوات نحو نشر الوعي الموسيقي في العراق - عبدالوهاب بلال
- ١٣ - الاتجاه القومي وانعكاسه في التعبير الفني - رحيم عمر التركيبي
- ١٤ - الدراما العراقية أو الطفل في سن الثمانين - تامر مهدي
- ١٥ - وسائل نشر التوعية الفنية - عطا صبري
- ١٦ - بحث عن دور التأليف في الحركة الفنية - علي حسن البياتي
- ١٧ - حول كيفية احياء وتطوير فنوننا العربية الاسلامية - طارق حسون فريد
- ١٨ - خطوات نحو نشر الوعي الموسيقي والقناني فسي العراق - عبد اللطيف حسن .

وقد وزعت هذه البحوث على الايام الاربعة الاولى للمؤتمر ، وقد انبثقت من بين الفنانين الساهمين ست لجان هي :

- ١ - لجنة الفنون التشكيلية .
- ٢ - لجنة الفنون الشعبية .
- ٣ - لجنة الفنون السينمائية .
- ٤ - لجنة الفنون المسرحية .
- ٥ - لجنة الفنون الموسيقية .
- ٦ - لجنة الفنون الاذاعية والتلفزيونية .

اما عدد القرارات التي توصلت اليها هذه اللجان فهو

٨٥ قرارا .

### \*\*\*

ان قيام هذا المؤتمر جاء بعد الوضع المفجع الذي انتهى اليه الفنان العراقي . وبديهي جدا ان هذه القرارات لو نفذت لاصبح الفنان في وضع يحسده عليه كل زملائه في أرجاء العالم . ونحن ندعو ان ينفذ منها ولو ٢ ٪ فقط ، وبذلك يمكننا اعتبار هذه القرارات تظاهرة للاعلام الكبيرة التي تدور في رأس فنانينا .

ومن المعروف جيدا ان الرسامين العراقيين مثلا - وهم اقل الفنانين مشاكل - يعانون من قلة شراء لوحاتهم ، فقد اعتاد اغلبهم على بيع نتاجهم في مواسم المعارض وكانت الجاليات الاجنبية هي المشجع البارز لهم ، ومنذ ثورة تموز حتى اليوم قل اقبال هذه الجاليات ، وكان الواجب يدعو وزارة الثقافة ان تشتري بعض نتاجات الفنانين وتحفظ بها في معرض دائم - لا سيما الكبار منهم - وان عليها ان لا تسمح للوحات فنانينا البارزين ان تكون بحسوة افراد الجاليات الغربية ، وان ماساة جواد سليم وتسرب ابرز لوحاته للخارج ما زالت ماثلة .

وهناك مشكلة ثانية بالنسبة للفنانين التشكيليين هي توفير قاعات العرض الكافية لاستيعاب هذه الوفرة الغزيرة من المعارض التي لم يعرفها الفن العراقي في عهده السابقة .

ونلاحظ ايضا الحاجة الماسة لابنطاق مديرية عامة للفنون الجميلة وان تكون مديرية الفنون التسمية الحالية في وزارة الارشاد شعبية منها ، وتأخذ هذه المديرية على عاتقها مهمة ملاحقة واقامة كافة النشاطات الفنية وفق خطة معينة يخطط لها ممثلون من كافة فروع الفن .

وفي الافتتاح طالب الدكتور عزيز شلال عميد معهد الفنون الجميلة بانشاء مجلس اعلى للفنون والاداب على غرار المجلس الموجود حاليا في الجمهورية العربية المتحدة ، ولعل التأكيد على هذا الطلب من شأنه ان يوفر العديد من الجهود التي تصبغ هباء ويؤكد وضع الفنان ويفرضه على الدولة .

اما عن الفنون المسرحية فما زالت الفرق خاضعة لقانون الملاهي وتعامل الفرق المسرحية تماما كما تعامل الرافصات والمغنيات ، ولعل كرامة الفنان المسرحي تتطلب تحطيم هذا القيد الذي ورثناه عن العهد الملكي البقيص ، كما ان الوضع يتطلب رفع القيود عن النصوص المسرحية وجعل أمر مراقبتها منوطا بلجان من المثقفين الواعين للنص ، وبناء المزيد من قاعات العرض . فقد استطاع المسرح العراقي خلال السنوات الخمس الاخيرة ان يكسب جمهورا غفيرا ، وخير دليل على ذلك اقبال المشاهدين على مسرحيات مثل « طنطل » و « البهخانة » و « صور جديدة » والاخيرة أعيد عرضها مرتين .

اما فنون الاذاعة والتلفزيون فاهم مطلب قدموه هو تحويل مديرية الاذاعة والتلفزيون الى مصلحة لتكون لها ميزانية خاصة تخرج عن انطوق التثليل الذي تكبلها به وزارة المالية وتقتل كل محاولة للتقدم . وقدموا ايضا اقتراحا في انبثاق اتحاد للاذاعيين العرب يعقد اول اجتماع له في بغداد .

وقد ساهم نقل هذه المطالب والمقترحات عن طريق الاذاعة والتلفزيون في تبيه الناس الى الوضع الناقص الذي يعيش فيه الفنان العراقي حتى يكف أولئك الخياليون عن مواصلة مطالبته بأمور ليس له الطاقة على تقديمها ان بقي فيما هو عليه الان .

### \*\*\*

اما التوصيات العامة التي قدمت باسم المؤتمر وقراها الاستاذ زكي الجابر في الحفل الختامي ، فقد كانت ست عشرة توصية اهمها :

- ١ - تاسيس نقابات لمختلف فروع الفن يضمها اتحاد عام للفنانين .

- ٢ - الغاء الضرائب والرسوم المفروضة على نتاجات المسرحية والسينمائية والموسيقية في العراق واعفاء ما يستورد من الاجهزة والادوات والمعدات الفنية من الرسم الجبرمي .

- ٣ - الدعوة الى عقد مؤتمر للفنانين العرب في بغداد يكون تمهيدا لابنثاق اتحاد للفنانين العرب واصدار طابع تذكاري بالمناسبة .

اكرر ان هذا المؤتمر كان تظاهرة للاعلام ، والذين وضعوا هذه المقررات يؤمنون بذلك ، فما زال جدار وزارة المالية عاليا ، وما زال الروتين يلعب دوره الكبير في تحطيم هذه الاحلام التي سجلت على الورق ، ولكننا ندمو لتحقيق اثنين في المائة منها فقط وليس هذا بحلم يسير مطلقا .

عبد الرحمن مجيد الربيعي

بغداد

## مهرجان السينما الفرنسية

تشكل السينما اليوم ظاهرة فكرية هامة . فالسينما لم تعد ذلك المكان الذي تذهب اليه لفضاء وقت ممتع وانما نافذة فكرية كالكتاب او اللوحة او القصيدة بالضبط . وعندما اتحدث عن السينما الطليعية هذه ، والتي تشر باجبال مدهشة من الفن الانساني العميق ، لا بد لي من ان افق لاتحدث طويلا عن السينما الفرنسية التي تعد بحق رائدة في هذا المجال وان وازتها او فاقتها اليوم افلام بعض الدول الشرقية المتقدمة ، بغض النظر عن الدراسات النظرية تم العملية التي قدمها ألكسندر استروك الشاب حول مفهوم السينما التقدمية ، وبغض النظر عن المحاولات الأولى لتنفيذ الفيلم كلوحة يشرف عليها فنان واحد ، سانتقل للحديث عن عدد من احسن واهم ما نتجته السينما الفرنسية الجديدة : افلام انيحت لي فرصة مشاهدتها ونقدها عن طريق مهرجان السينما الفرنسية - الذي اقيم في دمشق ، وسيقام في بيروت - حيث شاهدنا روائع لمخرجين كبار . السينما اليوم فكره .. كلمة .. صرخة . السينما قصيدة شعرية رسمتها كاميرا في عيني شاعر مثقف . لعل فضل لولوش هو انه استطاع ان يقدم أسلوب الجدة والخلق لعدد اكبر من الجماهير عن طريق فيلمه « رجل وامرأة » ، بدن الامر يختلف عن تونه مجرد انان صنعة وشاعريسة رومانسية هادئة . الفيلم هو فلسفة وسياسة وانسان ، وهي حقيقة ادركها لولوش المدهش في « احياء للحياة » كما يبدو . ومهرجان الفيلم الفرنسي يؤكد بشدة هذه الحقيقة .. حقيقة سيادة الفكر والادب . عندما اقدم على الكتابة عن فيلم جان لوك غودار ، رائد الفيلم الفرنسي الان ، لا املك الا ان احس ثقلا هائلا يدمر عظام ظهري . فيلم « بيرو المجنون » Pierre le Fou ليس فيلما صعبا لا يفهم ، لكنه فيلم مثقل بالرمز والجمال والافكار . الفيلم يحتاج الى فنره لاستيعابه فقط . لن ابالغ اذا قلت اني لم اشهد فيلما يشبه فيلم غودار ، على الرغم من اعجاز كل من برغمان ولولوش وكيروساوا وعديد من عمالقة الاخراج . « فيلم غودار قصيدة شعرية رائعة تذكرنا مباشرة ب.ت.س. اليبوت » ، كما قال الدكتور غسان المالح استاذ الادب الانكليزي في جامعتي دمشق السورية والاميركية اللبنانية . والحقيقة اني اتفق معه تماما في كون الفيلم قصيدة تستخدم احدث واعمق ما في الفن كله . كنت المح حقا ب.ت.س. اليبوت بتعقيده ورواه . كنت المح برخت بتفريبه ومباشرته . كنت المح كافكا بغموضه وعنفه . كنت المح بيرنديلو في حقيقته ووهمه . كنت المح بيكيت ، وتوين، وكوتزارد ، وستيفنسون ، ولوركا ، وبودلير . كنت اشاهد الفكر الانساني كله في روعة غودار الخالدة . الفيلم كما قلت ليس عسير الهضم ، لكن صعوبته تكمن في امتلائه بالاستعارات الابدية Allusions والرموز . فماذا يحكي لنا « بيرو المجنون » ؟

الفيلم رحلة ملحمية : انسان تفجعه روتينية العالم .. اللانسانية التي تبصق في وجه الانسان . فرديناند ( جان بول بلومندو ) شخص يتور على القوالب الجاهزة والمجاملات والتفاهة فيهجرجاله .. عالم البشر . وفجأة من خلال ظلمة الياس يلوح وجهها مضيئا يتمرد ، واذا بها لويز ( انا كارينا ) . وينطلق الاثنان في رحلة هروبية من لزوجة العالم ، يرتكان السرقات والسخافات والاحيل الساخرة . « عبت هي الحياة وبالعبث وحده يكون الدواء » . بطلانا يجولان الدروب المظلمة ، والمدن الكلسية ، ومحطات البنزين ، وسهول القمح ومروج الفيم . الحب هو الدواء .. هو المطلب .. هو الحياة . سيحولان حياتهما الى جزيرة منعزلة ، يعيشان فيها على الموسيقى والكتب والحب : رجل وامرأة . حلم لذيذ انضج من روبنسون كروزو الوحيد المهجور بدون

فكر ولا موسيقى ولا جنس ، واغنى من « هكلبري فين » القلام الهارب الذي يعي الدنيا من خلال رؤية طفل . هنا ، هناك كل شيء ، هناك امل يهدي ، هناك حب . لكن ، ما الذي يحدث ؟ الفتاة تجول اعماق الجزيرة تائهة : « ماذا افعل ؟ ماذا افعل ؟؟ » الحقيقة تسطع كالشمس : الانسان لا يستطيع ان يتناسى العالم .. لا يستطيع ان يعيش في جزيرة تائية يتدفق فيها شعاع الشمس ونور القمر ونهر من الحسان . العالم يحمل صورا اخرى . فقابل تمحو وجه البشر ، طائرات تدمر الاكواخ الصغيرة ، صواريخ تلوث السماء والنقاء ، دسائس تصفع وجه الحضارة ، دماء تلوث اميركا . هناك في العالم فيتنام وكونغو وكوريا وشرق اوسط . هناك دول شرسة ، وهناك عالم ثالث . هناك الجريمة تنز بالسواد من جبين جونسون . هناك الخراف تدبح في ارض البطولة : الفيتنام ، وجنود شباب يمضفون الملكة ويرسلون بالقوة كالنيام . العالم يحترق .. والانسان .. الانسان لا بد ان يواجه ثقله ، ان يدخل اللهيپ وعيونه مفتوحة الى اقصاها . حتى لو احترقت الجفون ، حتى لو ذابت نصارة الوجه ، يجب ان تظل العيون مفتوحة ، والاقدام تملأها العزيمة على فخر درب النار . ( مسكين القمر في عالنا ) يقول بطلنا يتحدث ريفقته في لحظة شاعرية ، ( اتاه ليونوف يريد ان يدس آراء لينين بالقوة في راسه ، وما ان ذهب حتى انقض الاميريون يصبون زجاجة كولا في فمه ) . يعود بطلنا الى عالم البشر ليتفاعل معه .. ليصلا الى حقيقة انفسهما .. ليكتشفا للناس حقيقتهم . لكن البحارة الاميركيين يصفون طريبن تمثيلية تصور قتل امراة فيتنامية بيد جندي اميركي ، ويدفعون المال بسرور لمشاهدة المنظر ، ويذهبون !! وتطلق شفاه بطلانا « يسقط جونسون » « يسقط جونسون » « يحيى كينيدي » . لكن ماذا يحدث عندما يتحمل انسان وزر العالم ؟؟ الجريمة تمتد .. تقمر كل شيء كفيضان كبير يحمل وحل الخطيئة . الفتاة تجد اخيرا اخا لها يدعى ( فرد ) ، كانت تحت عنه منذ البداية ، فهو يملك المال الكثير : شخص يتاجر بالسلاح ويشري كلما التهمت ثورة او سال دم في مكان من العالم . ويظهر ( فرد ) بعد جريمة شنيعة يفرس فيها مقص في عنق فيتنامي قزم ، شخصان اميركا المظهر يظهران ككابوس من فرائز كافكا . الفتاة نفسها تشترك في جريمة ، وفرديناند نفسه يقتل . العالم كله يقتل .. الآلاف .. بل الملايين ، فما ضير ان يزيدوا واحدا او اثنين . ( فرد ) يتصرف كاخ منحرف او كمشيق للفتاة . الجنس والدم ، والعلاقة المفصومة ، وفرديناند بالنسبة لها دائما هو ( بييرو ) الشخص الذي تتخيله فيه .. اي انه ليس نفسه بالنسبة لها وانما آخر .. انسان من بنات افكارها .. وهنا يتم ذلك الانقسام . مات كل شيء .. الحب .. الحياة .. الامل . لا شيء سوى لون احمر يلوث براءة العيون . لا خلاص . ويمجز البطل . العالم اكثر شرا من ان يصلح . وعيه يتخطم تحت وطأة الشر . القوة تحكم . فليتمرد على مصيره السذي جر اليه ، كما يجر آلاف الشباب الاميركي الى الموت بدون معنى في الفيتنام البظلة . يمسك مسدسا . يصرع فردا . يصرع حبيبته وهي تناديه بييرو ! وبكل ثقة وذهول يطلي وجهه بدهان ازرق كلون الشبابيك وقت الحرب .. يضع حول دماغه شريطين طويلين من اصابع الديناميت .. يخفي عن رؤيته العالم .. يضع كل رهبة الموت على جبينه .. ويشعل القنبل . وبحركة انسانية اخيرة يجبن .. يتردد .. يمد اصابعه ليطفى القنبل . لكنه ينفجر .. يذوب في العدم بعيدا عن عالم فاسد قدر . الحب لم يعد يكفي والعالم شرير لا يرحم . بقي ان افول ان الفيلم قد نال جائزة الاخراج في مهرجان البندقية للسينما . وكما يقول الناقد السينمائي الاول في سورية الدكتور رفيق الصبان : « بييرو المجنون ، فيلم لا يلخص .. انه قصيدة مليئة بالفضجة والموسيقى ، باللون والسواد » . وان السينما الحديثة هي التي تتجه « بدرب واسع نحو السماء الواسعة التي يقف فيها الانسان عملاقا يسأل ويجيب ويتحدى » .

الآن روب غريبه اسم لامع اليوم بين رواد الادب الحديث في كاتب خلاق وصاحب مدرسة . شاهدت له فيلم « الخالدة » الجيد . واليوم في المهرجان يعرض له فيلم بارع مسل هو « قطار اوربوسا السريع » . سوف اتجاهل هذا الفيلم لانه فيلم جمالي متهمك لا يخدم فكرة ولا هدفا .

اما روبير برنسون ، المخرج المبدع الذي اشتهر بالفلام الادب القصصي ، فقد قدم لنا فيلما بالغ الاتقان تحت عنوان « موشيت » وهي قصة لجورج برناتوس . الفيلم واقعي بهمت . لا اللون ، لا صخب ، لا تجديد ، مجرد شاعرية قائمة كلاسيكية ترسم لنا ظلالا من سواد . فيلم دقيق ، جيد ، مهرف الاحساس يعالج قصة فتاة فقيرة بأسة . دربها مظلم بدون نافذة ضياء . « موشيت » هو عالم الأطفال المذب في قرية تعيسة ، بيراته . بشراسته . بسداجته . بفطرنه . طفلة تتمذب في عالم قائم متعلق ، فلا يبقى لها الا في اعماق النهر السوداء ملجا ابدي يمنحها الراحة . الفيلم نال ، وبجدارة ، جائزة النقاد العالميين في مهرجان البندقية . وفي الواقع اني ان وصفت موشيت باختصار فساقول : ان ابيض ما في الفيلم سواد واسود ما فيه قنامة عممية مرعبة .

الفنان الشهير فرنسوا تروفو صاحب ( ٥١ ) فنهيت ( و ) الجلد الناعم ) قدم لنا فيلما جريء الفكرة ، ناقب المألجة . الفيلم هو ( جول وجيم ) بطولة جان مورو ، المثلة الكبيرة حقا . العظيم في الفيلم هو النعومة والبساطة التفريرية ورهافة الحس . حركة الكاميرا المناسبة بدقة وسهولة ، وابتمامة جان مورو المعجبية المدهشة ربما كانت اسباب اخرى ساعدت على انجاح الفيلم . على شفاه جان مورو كان هناك دائما سر وسحر كلوحة « الجونكندا » او كتمثال يوناني ثمين . شخصيا لم ادهش بالفيلم لان انطاع الجرأة لم يفاجئني ، ورغم الحساسية في التمثيل والاخراج لم اجد مغزى مهما للموضوع .

« الاحمر والاسود » قصة معروفة لستندال ، والفيلم ليسى بالجيد . لكنه يعد بحق من الكلاسيكيات الفرنسية الممتازة . الانسان هو الانسان في تصرفاته وانفعالاته الباطنية ، امر ابنته لنا ستندال ولد . اوتان لارا مخرج الفيلم . اعجبني ( جيرار فيليب ) ففيد السينما الفرنسية ، في دور جوليان سوريل كثيرا .

فيلم آلان جوسيا في المهرجان كسان « لعبة القتل » Jeu de massacre الذي نال جائزة السيناريو في مهرجان كان . وآلان جوسيا عرفناه منذ « الحياة بالقلوب » كمخرج ساخر يعتمد على الجدة في الموضوع والمألجة . الفيلم تتخلله لقطات جنسية وبوليسية جريئة ذكرني بكلود شابروول . لكن بينما يقدم لنا شابروول الصخب والجنس والعنف لاجل الاثارة ، يقدمها جوسيا متهمكا من اجل خلق ضحكة عريضة ومتمعة جلبت صفوفا طويلة الى شباك التذاكر . هناك تجديد وابداع في التلوين الذي يلعب دوره الكبير في الفيلم . فاللون غالبا ما يتخذ وحدة مدروسة من المشتقات تغطي للقطعة شاعرية حساسة . اعجبني هذا التكنيك الذكي الذي يشير الى فنان يعرف كيف يمزج الوانه وكيف يرتب مساحاتها باعجاز .

لي وقفة طويلة عند فيلم انيس فارداد الصعب « المخلوقات » Les créatures والذي نالت عليه جائزة تقديرية بمهرجان كان . فيلم المخلوقات بخطوطه العريضة هو حكاية كاتب وزوجته بايتان لقرية ، يصيبهما حادث سيارة فتبكم الزوجة . ويميش الزوجان في قلعة نائية في صمت . فلمه يتحرك وخياله يتصارع ليحول حياة اشخاص الجزيرة الى مخلوقات في كتابه . لكن ماذا يجري في خياله ؟ وكيف يلعب القدر لعبته ؟ وما هو هذا الشر الغريب الذي يدس في جيوب الناس ؟ ومن هو صاحب القلعة الاخرى الذي يحرك الناس على رقعة شطرنج ؟ اسئلة غامضة كثيرة يطرحها الفيلم . في رأيي ان الشخص الآخر « دوکاس » الذي يلعب مع البطل بمصير سكان الجزيرة هو مفتاح

السر لليلم ، وهو الذي يمسك بالخيوط المعقدة التي تكشف لنا،ربما، الفرق بين الحقيقة والوهم . فمن هو « دوکاس » ؟ هل هو القدر ؟ لا يمكن لان القدر قد ظهر في الفيلم قبل دوکاس عندما اصطدمت السيارة . ثم اننا نتعرف الى دوکاس من خلال حديث الناس كإنسان عادي مثقف يعيش متعزلا . اذن هل هو الله ؟ ايضا لا يمكن لان الله ليس شريرا كما صور لنا دوکاس . فمن هو ؟ انه بالنسبة لي تجسد للعقل الباطن Jul consieset في كل ما يكتبه من رفيات نشأت عن الوحدة والصمت والصدمة القدرية التي ابكمت الزوجة . البطل ودوکاس جانبان متخيلان لشخص واحد . فحادثة موت دوکاس الطبيعية كانت قبل اللعبة المصرية وحادثة القتل المتخيلة اصلا . الصراع كله داخلي اذن وفي باطن عقل البطل : الكاتب الذي يتخيل قصة ويردد من خلال وحدته عبارات عجوز يانسي يلمن فيها البشر ويتمنى موتهم . الشعور ضد اللاشعور . واخيرا الحقيقة تنتصر . حب الحياة . حب البشر . الخلاص من عناصر الكبت والشعور بالنذوب . وذلك الخوف الرهيب من الآخرين والعالم . لم يعد بطلنا بحاجة الى حصان او ارنب ليكلمهما فزوجته تلد وتجربة الالم ندفع الصوت الى شفاهها، والحياة تولد من جديد في مخلوق حقيقي هذه المرة يملأ الشاشة كلها بالحقيقة الساطعة . بقي ان اؤكد كون دوکاس العقل الباطن من حيث دراستي للرمزية الشفافة التي عرضت بها انيس فارداد فكرها . دوکاس يعيش ككاتبنا في قلعة غوطية عنيقة . دوکاس ينظر من شرفته العالية بحذر الى العالم الخارجي بمنظار مكبر ، ناما كما يحدث مع اللاشعور . دوکاس يخزن اشياء غريبة داخل بيته ، اشياء مهربة لا يجرؤ على اظهارها علنا ، تماما كاللاشعور الذي يحوي على كل ما لا يقال . دوکاس يمتلك رؤى داخلية للعالم الخارجي كاللاشعور . ودوکاس عندما يسقط من اعلى الشرفة بعد الصراع المتخيل بين الشعور واللاشعور ، بين الحقيقة والوهم ، بين الارادة الحية والرغبة الشريرة ، تتبدل اللقطة لتظهر البطل في نفس وضعه بالنصبت متمندا . انهما جانبان لانسان واحد . فيلم انيس فارداد اثار مناقشات عديدة من حيث الفكرة ، هذا عدا الاتقان المدهش في الاخراج ، والدكاء في معالجة اللقطات لابرز التناقض والتضاد بين الداخل والخارج ، بين الذات والعالم . ذكاء رمزي بارع . استخدام بارع لرقعة الشطرنج في كل شيء : في المايوه والقبعة وغطاء المائدة واشياء عديدة اخرى ، واصلا هي خلفية رقعة الورق التي تكتب عليها الزوجة البكاء والتي تذكرنا بالصدمة . اما السرطان فربما كان يرمز للقدر الذي يتحرك فوق رؤوسنا ابدا ، فالقدر ، كما قلت ، موجود في الفيلم وغير موجود ، اي انا نحس به ولا نلمسه مباشرة . انه كقطعة المعدن الغريبة التي يدسها الناس في جيوب بعضهم بعضا فتحدث تأثير السحر ، ويتحول الانسان الى شر وغريزة وعنف . انها ايضا تخيل انسان معزول حول عالم يفترض فيه الشر . فيلم فارداد « المخلوقات » فيلم مدهش قل ان نشاهد مثله . وكم هو يذكرنني بتمقيد « العام الفانت في مارينباد » لان ربنيه ، و « الخالدة » لان روب غريبه . الفيلم صعب ولذيذ ومدش .

كان اسبوع الافلام الفرنسية نصرا لا ينسى وتحديا كبيرا يخوضه شباب مثقف في سبيل فكرة ملتزمة لا بد ان تنتصر . جمهورنا العربي في كل مكان يجب ان يطلع على هذه التجارب الطبيعية ويحاول ان يتخذ منها رائدا بدل الاعتماد على رواج الافلام الهندية وعلى انتاج محلي يقلد سطحية وتجارية الافلام الاميركية الساذجة التي تملأ اسواقنا . انا كبلدان تقدمية ناشئة . . وكعالم ثالث يخط طريقه يجب ان نبحت عن الفن الحقيقي . فن الفكرة والابداع . فن اثبتت الدولة الصديقة فرنسا انها مركزه الاصيل .